مكانة التخطيط كعنصر للعملية الإدارية في مصادر الفكر الإسلامي الرئيسة

(نماذج من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة)

د. نبيل مصطفى شعت
أستاذ إدارة الأعمال المساعد في جامعة القدس المفتوحة – فلسطين

الملخص

2

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على مكانة وأهمية التخطيط (كأحد عناصر العملية الإدارية) في الفكر الإداري الإسلامي وعلى وجه الخصوص القرآن الكريم والسنة النبوية . فقبل ما يزيد عن أربعة عشر قرنا جاء الإسلام مشتملا ومؤكدا على أصول التخطيط سواء قصير الأمد (التكتيكي) أو طويل الأمد (الاستراتيجي) في كافة مناحي الحياة . وعلى المسلم أن يعمل لدنياه كأنه يعيش أبدا وأن يعمل لآخرته كأنه يموت غدا . يعتبر التخطيط الأساس الذي يعتمد عليه باقي عناصر الإدارة الأخرى ، فبدون التخطيط لا يوجد شيء لتنظيمه وتوجيه ومراقبته . تم استخدام المنهج الوصفي والتحليلي والاستنباطي لكونها المناسبة لهذا النوع من الدراسة . تمثل الاستنتاجات التي تم التوصل إليها خطوة إلى الأمام نحو اكتشاف أهمية التخطيط في الفكر الإداري الإسلامي من أجل تطبيقه وبلوغ أسباب الرقي والسيادة والازدهار .

مقدمة :

يعتبر التخطيط أحد العناصر الرئيسة للإدارة ، فكما هو متعارف عليه تتكون عناصر الإدارة من التخطيط والتنظيم والتوجيه والرقابة حيث يعد التخطيط القاعدة العريضة التي يرتكز عليها باقي عناصر (وظائف) الإدارة . ويتفرع من التخطيط ما يلي : ١ – التنبؤ ، ٢ – الأهداف ، ٣ – السياسات ، ٤ – البرامج ، ٥ – الإجراءات ، ٦ – الجداول الزمنية ، ٧ – الموازنات .

عمليا بدون التخطيط لا يمكن الحديث عن أي نشاط لتنظيمه أو لتوجيهه أو لرقابته ، والتخطيط هو نشاط ذهني عقلي يعتمد على الحقائق ويدور حول المستقبل وتوقعاته واتخاذ الترتيبات والتدابير اللازمة لمواجهة هذه التوقعات بالطريقة الملائمة وسعيا لتحقيق أهداف محددة تم وضعها مسبقا في إطار الإمكانيات والموارد المتاحة .

وهو مناقض تماما للعشوائية والارتجالية ويحظى التخطيط في عصرنا بأهمية وعناية فائقة بسبب ما يؤدي إليه من استغلال أمثل للموارد ، فما كان للدول المتقدمة علميا وتقنيا واقتصاديا أن تصل إلى ما وصلت إليه إلا بفضل إتباعها وتطبيقها له، هذا النجاح الذي بهر أنظار دول وشعوب أخرى لتحذو حذو تلك الدول .

أهمية التخطيط:

- لا شك أن سير العمل دون خطة مسبقة واضحة المعالم وذات أهداف محددة هو في حقيقة الأمر إهدار للجهد والوقت والمال .
- يكتسب التخطيط أهميته من كونه نشاط يدور حول توقعات المستقبل لفترة زمنية محددة ، والمستقبل بطبيعة الحال مجهول ، لذا فان التحوط واتخاذ التدابير والترتيبات اللازمة لمواجهة هذه التوقعات من شأنه أن يخفض على الأقل نسبة الخطأ والسلبيات بدرجة ملموسة ، ويساعد على تحقيق الأهداف المحددة مسبقا

يحتاج التخطيط مراعاة ما يلي :

١ – توفير جميع البيانات اللازمة وذات الصلة بالموضوع محل الدراسة تمهيدا لاختيار البديل الأفضل كقرار له ورسم الخطة المناسبة في ضوء ذلك .

٢ – استقاء المعلومات من المصادر الموثوقة ومن الجهة المختصة بعد التأكد من صحتها .

٣ – وصول المعلومات للجهة التي طلبتها في الوقت المناسب .

مشكلة البحث : تتمثل مشكلة البحث في السؤال الرئيس التالي :

ما هي مكانة التخطيط وأهميته في الفكر الإداري الإسلامي – القرآن الكريم والسنة النبوية على وجه الخصوص – وما هي مجالات تطبيقه ؟

ويتفرع من هذا السؤال الأسئلة التالية:

ما مدى هذه الأهمية ؟

ما هي بعض النماذج على التخطيط في القرآن الكريم والسنة النبوية ؟

هل يحتاج الإنسان إلى تطبيقه في مختلف أعماله ؟

هل التخطيط مأمور به ؟

أهداف البحث :

١ – تهدف هذه الدراسة إلى تبيان مكانة التخطيط في الفكر الإداري الإسلامي

٢ – كما تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بأن الإسلام كان سباقا لإيلاء التخطيط المكانة والأهمية المناسبتين قبل أن يعرف في الفكر الإداري الوضعي.

٣ – التعرف على بعض نماذج التخطيط من واقع القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة

٤ – بيان أن التخطيط مأمور به لإنجاز الأعمال في الحياة (عبادات ومعيشة وتجارة.....إلخ)

أهمية البحث : تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها محاولة لتذكير المسلمين بضرورة الأخذ بالتخطيط والأسباب وتطبيقهما في مختلف أعمالهم كي يتسنى لهم أن يتبوؤوا المكانة المناسبة بين الأمم، فلديهم – على سبيل المثال – من الثروات الطبيعية ما يمكنهم من بلوغ الرفعة والرقي إن هم أحسنوا استثمار هذه الثروات ووفق خطط معدة ومدروسة بعناية .

منهجية البحث : سيعتمد الباحث بشكل رئيس على المنهج الوصفي والتحليلي والاستنباطي لكونها مناسبة لهذا النوع من الدراسة وستكون القراءة والتحليل هما الأداتان الرئيستان لجمع المعلومات .

دراسات سابقة :

١ –أ.د. محمد علي عزب : (الأخذ بالأسباب كقيمة إسلامية في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية) ، مجلة كلية التربية بالزقازيق ، العدد ٦٧ ، أبريل ٢٠١٠ . تحدثت الدراسة عن الجانب التربوي فيما يتعلق بالأخذ بالأسباب .

٢ – دراسة د. فيصل بن أحمد بن عابد شعيبي : (التخطيط الإداري الإسلامي في العهد النبوي المدني) ، مجلة جامعة الملك عبد العزيز : الاقتصاد والإدارة ، م ١٠ ، ع ١ ، ص ص٥٩ –٩٧ ، (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م) . تحدثت هذه الدراسة عن التخطيط الإداري – دون غيره من الأنواع الأخرى – في العهد النبوي المدني ولم تركز على التعرف واستنباط الآيات الدالة على التخطيط بمجالاته المتعددة في القرآن الكريم .

٣ – دراسة د. صلاح الدين محمد قاسم النعيمي : (سياسة التخطيط الاستراتيجي في ضوء سورة يوسف) ، مجلة الجامعة العراقية ، العدد (١/٣١) ، ص ص ٣٥٥ – ٣٨٨ ، ٢٠١٣م. ركزت هذه الدراسة على نموذج التخطيط الوارد في سورة يوسف دون نماذج أخرى للتخطيط وردت في سور أخرى من القرآن الكريم .

٤ – دراسة د. يوسف القرضاوي : (التخطيط للمستقبل والإيمان بالغيب) ، ٢٠٠٤/٨/١م . على موقع www.onislam.net

ركزت الدراسة على التخطيط في مواقف معينة من السيرة النبوية دون التركيز على نماذج من التخطيط في القرآن الكريم .

٥ - دراسة د. عثمان قدري مكانسي : (التخطيط واتخاذ الأسباب) على موقع www.alhiwar.net تطرقت الدراسة إلى صور من التخطيط في القرآن الكريم دون التطرق إلى صور التخطيط في السيرة النبوية المطهرة .

تعقيب على الدراسات السابقة : بعض هذه الدراسات تناولت الموضوع من الزاوية التربوية فقط ، وبعضها ركزت على تناول صور من التخطيط في السيرة النبوية فقط دون التركيز على صور من التخطيط في القرآن الكريم ، والبعض الآخر ركزت على صور من القرآن الكريم ولم تتطرق إلى صور من السيرة النبوية .

تختلف الدراسة الحالية عن هذه الدارسات في أنها تجمع بين الجانبين الرئيسين ، أي أنها تتناول نماذجا من التخطيط في القرآن الكريم وكذلك نماذجا من السيرة النبوية المطهرة وتورد أنواع التخطيط الأساسية وهي التخطيط الإداري ، والاقتصادي ، والاجتماعي ، والدعوي ، والحربي ، والسياسي .

المبحث الأول : مفاهيم نظرية

المطلب الأول : المعنى اللغوي للتخطيط

ورد في لسان العرب لابن منظور : الخط: الطريقة المستطيلة في الأرض ... وخط بالقلم : كتب؛ والتخطيط : التسطير؛ والخِطَّة . بكسر الخاء .: الأرض والدار يخطها الرجل ... يحتجزها ويبنى فيها؛ والخُطَّة . بالضم .: شبه القصة والأمر ... وفي حديث الحديبية :" وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا" وفي حديثها أيضاً : " إنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها " أي امرأ واضحاً في الهدى والاستقامة... وفي رأسه خطة : أي أمر ما ... وقولهم : خطة نائية أي مقصد بعيد (١) .

وورد في مختار الصحاح جذر كلمة تخطيط : " خ ط ط " : الخط واحد الخطوط وخط بالقلم كتب ، مخطط : فيه خطوط . والخطة بالكسر : الأرض التي يخطها الرجل لنفسه وهو أن يعلِّم عليها علامة بالخط ليعلم أنه قد اختارها ليبنيها داراً ... والخطة بالضم الأمر والقصة (٢) .

فمن معاني التخطيط إذن:

١. رسم خطوط.
٢. رسم علامة على الأرض تدل على حيازتها.
٣. الكتابة.
٤. القصة أو الأمر المقصد .

المطلب الثاني: التخطيط اصطلاحاً

يورد الدكتور جميل توفيق عددا من التعاريف فيقول أن هناك من يعرف التخطيط بأنه (التقرير سلفا بما يجب عمله وكيف، ومتى، ومن الذي يقوم به) ومن الكتاب من يرى أن التخطيط (يتضمن الاختيار بين البدائل من الأهداف والسياسات والإجراءات والقواعد مع تحديد الوسائل لبلوغها) أما هنري فايول فيقول : (إن التخطيط في الواقع يشمل التنبؤ بما سيكون عليه في المستقبل مع الاستعداد لهذا المستقبل) ويقدم جورج تيري التعريف الرسمي الآتي (

التخطيط هو الاختيار المرتبط بالحقائق ووضع واستخدام الفروض المتعلقة بالمستقبل عند تصور وتكوين الأنشطة المقترحة التي يعتقد بضرورتها لتحقيق النتائج المنشودة (٣).

إن التخطيط ليس علما حديثا كما يراه كثير من المفكرين بل إن المسلمين عرفوه وطبقوه منذ مطلع الإسلام ، ففي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يتضح لنا ذلك فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ((خَطَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسَطِ، وَقَالَ: هَذَا الْإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ، أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ، وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الْخُطَطُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هذا)) (٤) .

نرى أن التخطيط قي عصرنا الحاضر أخذ مكانه الحقيقي من الاهتمام بالدراسة والتحليل والبحث "وظهرت أفكار التخطيط - خاصة التخطيط الاقتصادي - من العالم النرويجي كريستيان ثنونهيدر في بحثه عام١٩١٠م (٥) وزادت أهمية التخطيط بعد الحرب العالمية وما أحدثت من خراب ودمار للمدن وانهيار اقتصاديات معظم الدول المحاربة وكانت دول أوروبا الغربية من أهم الدول التي تعرضت للدمار بالإضافة إلى اليابان ومن هنا ازدادت أهمية التخطيط للنهوض من جديد بطرق جديدة وخطوات مدروسة.ومن بعد نهاية الحرب قامت كثير من الدول بالاتجاه إلى الأخذ بالتخطيط ليكون أساس بناء اقتصادها وإعادة عمرانها. ويرى الآن معظم دول العالم تقريبا تلجأ إلى التخطيط كإستراتيجية لازمة للتنمية والتطوير في جميع المجالات وخاصة التعليمية منها إيمانا بأن المجال التعليمي هو أساس ومنطلق باقي المجالات لذا خصصت معظم الدول للتعليم الميزانية الكبرى، وللضرورة المتزايدة في نشر العلم وكبح الجهل. واعتبر التخطيط القاعدة الأساسية في جميع الدول. (٦) ومن هنا بدأ علم التخطيط بالتقدم للأمام ، مما جعل المهتمين فيه يتضاعف عددهم باستمرار وأصبح التخطيط علما متفرعا لا يقتصر على نوع واحد من أنواع التخطيط ، والتخطيط لم يقتصر على الدول المتقدمة ولكن أخذت به الدول النامية التي تعاني من الفقر الشديد، حيث رأت تلك الدول أن التخطيط عامل مساعد في تقدمها وتوفير الرخاء والمعيشة الجيدة لسكانها ومن خلال استغلال مواردها وإمكانياتها المتاحة والاستخدام الأمثل لها باستخدام التخطيط على الرغم من اختلاف شاسع بينها وبين الدول المتقدمة إلا أن التخطيط هو الطريق الوحيد للنهوض بالدول النامية التي فيها قلة بالموارد بمختلف أنواعها، ويلاحظ أن كثيرا من الدول النامية أخذت بالتخطيط التنموي حسب إمكاناتها .

المطلب الثالث : مفهوم التخطيط في الإسلام

لم يمنع الإسلام من علم التخطيط للمستقبل ، وأن يستشرف المسلم مستقبله بعين الفاحص الخبير ، بما لديه من معطيات ، وهذا لا يتنافى مع عدم العلم بالغيب ، فإن الغيب المطلق هو الذي لا يمكن للإنسان الإحاطة به أو معرفة شيء منه، وإنما العلم النسبي المبني على المعطيات العلمية، والإسلام قائم على التخطيط للمستقبل ورفض العشوائية

في التفكير والتخطيط، ولعل حياة الرسول صلى الله عليه وسلم في الهجرة والخطة الموضوعة لها ، ومتابعة الأحداث العالمية آنذاك الدائرة بين القوتين العظميين الفرس والروم ، وإرسال الرسائل للملوك والرؤساء ليدل دلالة واضحة على استشراف الرسول للمستقبل، والتخطيط المنظم لهذا الدين، مع التوكل الحق على الله تعالى.

إن الإسلام لم يغفل التخطيط بمختلف أنواعه منذ نشأة الإسلام، حيث يمكن استنباط ذلك مما جاء في القرآن الكريم في محكم الآيات وفيما ورد عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم من أحاديث ،وكذلك ما نقل إلينا من سير الخلفاء الراشدين وما فعله السلف الصالح من أعمال.ولما كان التخطيط رأياً وعملا فلا بد أن يقوم على الحقائق التي ينبغي تقصيها بدقة وعمق فقد نهى القرآن عن الاعتماد على الظن لأنه قد يحدث منه أمور عكسية وليست في صالح المسلمين - وقد أوضح أن الذين لا يعتمدون على الحقائق ويستندون إلى الظن يضلون عن أهدافهم مثلما جاء في سورة يونس عليه السلام قال تعالى:(وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) [يونس: ٣٦] ولنا أن نتمعن قليلا في هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة فنجد أنها كانت اختيارا لموقع عمل جديد يقتضي وضع خطة تسير عليها الدولة الإسلامية الوليدة تحقيقا للهدف الأسمى وهو نشر الدين في بقاع الأرض ، ولا شك أن الدولة الإسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم تقم اعتباطا وعلى غير هدى بل على أساس خطة سليمة في نشر الوعي الديني ونشر الدين الإسلامي وتقوم سياستها على الحق والعدل، فيها توزيع للاختصاصات وتفويض بعض الصحابة في عدد من السلطات، كقيادة الجيوش ، وإمامة الناس في غيبة الرسول صلى الله عليه وسلم وجباية المال إلى غير ذلك.وهناك دلائل كثيرة على تقدم الإسلام في مجال التخطيط سواء طويل الأمد أو قصير الأمد ومن ذلك مثلا قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: " اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا(طويل الأمد) واعمل لأخرتك كأنك تموت غدا(قصير الأمد) " بهذا يحض على الاستعداد للمستقبل البعيد مع مراعاة المثل العليا في التطبيق.وحين فتحت أرض السواد بالعراق في عهد عمر بن الخطاب وضع عمر رضي الله عنه خطة لتعميرها وتوسيع رقعتها ومن ضمن ما عين في المناصب الرئيسية بها عثمان بن حنيف ماسحا وكانت مهمة الماسح أن يقيس الأرض ويقسمها وفقا لأنواع الزرع فيها حتى يضبط خراجها ويمكن النظر في مجالات التوسع والتعمير، فكان عمله الأساسي إمداد الدولة بالحقائق التي تبني خطة التمويل وخطة التعمير.

لما كان المال عصب الحياة فقد عنيت الدولة الإسلامية في مختلف مراحلها بتخطيط الموارد المالية التي تكفي للنهوض الاجتماعي والاقتصادي، فقسمت تلك الموارد إلى أنواع منها الخراج، والفيء، والجزية، والعشر، والأنفال، والصدقة، ولقد كان حصر هذه الموارد مقدمة لتخطيط جمعها واستخدامها، حيث يمكن على أساسها تقدير ما سوف تحصله الدولة من أموال، ثم إن تقسيمها بهذا الشكل كان يهيئ السبيل لإنفاق كل مورد في ناحية إنفاق محددة.(٧)

المبحث الثاني

العلاقة بين التخطيط للمستقبل والأخذ بالأسباب من جهة وبين الدين من جهة أخرى

المطلب الأول : التخطيط والاستشراف

من فروض الكفاية اليوم ما يسمَّى : (علوم المستقبل) وهي التي تستشرف آفاق المستقبل في ضوء إمكانات الحاضر الظاهرة والمخبوءة، والمكنونة في طاقات الأمة وعلاقاتها بما حولها ومن حولها، وما تنبئ عنه الدراسات العلمية، التي تعطي ترجيحات لما يتوقع، على سبيل الظن، لا القطع واليقين، وهذا يكفي للتخطيط للمستقبل على هذا الأساس العلمي المقدور عليه.، ولا يجوز للمسلمين أن يعيشوا بمعزل عن هذه العلوم التي تتقدم وتتطور يومًا بعد يوم، وتخدمها عقول كبيرة، ومؤسسات ضخمة في أنحاء العالم. (٨)

ولا ينبغي اعتبار ذلك من باب (التنبؤ بالغيب) الذي لا يعلمه إلا الله؛ لأن هذا في الغيب المطلق، أما الغيوب النسبية التي جعل الله للبشر سبيلاً إلى استشفافها وإدراكها بوسائل معينة، في دائرة السنن الإلهية، فليست في نطاق المحظور شرعًا، إنما هي أشبه بعلم الأرصاد الجوية، الذي يتنبأ بالحرارة والبرودة، ونزول المطر، ونحو ذلك، بناء على ظواهر جوية مشهودة، لها آثارها المعهودة، وبناء عليها يتوقع ما يحدث من تغيرات المناخ.

وإذا كان الإحصاء من دلائل الطريقة العلمية فالتخطيط كذلك، بل هو أوضح دلالة عليها، والتخطيط إنما يعتمد على الإحصاء، ويراد بالتخطيط وضع خطة لمواجهة احتمالات المستقبل، وتحقيق الأهداف المنشودة. (٩)

ومن الناس من يتصورون أو يصورون الدين في موقف المعارض أو المناقض لفكرة التخطيط العلمي للمستقبل، وهذا من أثر الفكرة القديمة التي جعلت العلم مقابلاً للإيمان، فهما ضدَّان لا يجتمعان، أو خطان متوازيان لا يلتقيان.

والحقيقة أن فكرة الدين في جوهرها قائمة على أساس التخطيط للمستقبل، ففيه يأخذ المرء المتدين من يومه لغده، وبعبارة أخرى: من حياته لموته، ومن دنياه لآخرته، ولا بد له أن يخطط حياته ويرسم لنفسه منهاجًا وفق عقيدته يوصله إلى الغاية، وهي رضوان الله ومثوبته. (١٠)

وفي القرآن الكريم قصة جعلها الله عبرة لأولي الألباب، وهي قصة نبي الله يوسف عليه السلام، وفيها يذكر القرآن لنا مشروع تخطيط للاقتصاد الزراعي لمدة خمسة عشر عامًا، لمواجهة أزمة غذائية عامة، عرف يوسف. بما ألهمه الله، وعلَّمه من تأويل الأحاديث. أنها ستصيب المنطقة كلها، وقد اقترح يوسف. عليه السلام. مشروع الخطة، ووُكِّل إليه تنفيذها، وكان فيها الخير والبركة على مصر وما حولها: (قال تزرعون سبعَ سنينَ دَأَبًا فما حصدتم فَذَرُوه في سُنْبُلِهِ إلا قليلاً مما تأكلون❖ ثم يأتي من بعدِ ذلك سبعٌ شدادٌ يأكلنَ ما قدمتم لهنَّ إلا قليلاً مما تُحصنون❖ ثم يأتي من بعد ذلك عامٌ فيه يُغاثُ الناسُ وفيه يَعصرون❖) [يوسف: ٤٧.٤٩].

المطلب الثاني: التخطيط والتوكل على الله :

ويَظن آخرون أن التخطيط للغد ينافي التوكل على الله، أو الإيمان بقضائه، وقدره، ولهذا يستبعدون كل الاستبعاد أن يقبل الدين فكرة التخطيط، فضلاً عن أن يوجِّه إليه، أو يحث عليه.

والحق أن الذي يتعمق في دراسة كتاب الله، وسنة رسوله يتبين له أنهما يرفضان الارتجال والعشوائية، وترك الأمور

تجري في أعنَّتِها بغير ضابط، ولا رابط ولا نظام، وبيَّن الرسول. صلى الله عليه وسلم. أن التوكل على الله لا يعني اطِّراح الأسباب أو إغفال السنن، التي أقام الله عليها نظام هذا الوجود (١١) ، ولا يكاد مسلم يجهل قصة الأعرابي الذي جاء إلى النبي. صلى الله عليه وسلم. وترك ناقته أمام المسجد قائلاً: يا رسول الله، أأعقل ناقتي وأتوكل أم أطلقها وأتوكل؟ فقال له: "أعقلها وتوكل".(رواه الترمذي وابن حبان وابن خزيمة). (١٢)

وقال الإمام الطبري يرد على من زعم أن تعاطي الأسباب يؤثر في كمال التوكل : الحق أن مَنْ وَثِقَ بالله، وأيقن أن قضاءه عليه ماضٍ، لم يقدح في توكله تعاطيه الأسباب، إتباعا لسنته وسنة رسوله، فقد ظاهر. صلى الله عليه وسلم. بين درعين ولبس على رأسه المغفر، وأقعد الرماة على فم الشِّعَب، وخندق حول المدينة، وأذن في الهجرة إلى الحبشة، وإلى المدينة، وهاجر هو، وتعاطى أسباب الأكل والشرب، وادخر لأهله قوتهم، ولم ينتظر أن ينزل عليه من السماء، وهو كان أحق الخلق أن يحصل له ذلك. أ. هـ. (نقله الشوكاني في نيل الأوطار). (١٣)

المطلب الثالث : دلالات التخطيط للمستقبل في السيرة النبوية المطهرة :

ومن قرأ سيرته عليه الصلاة والسلام، وجد أنه كان يَعُدُّ لكل أمر عدته، ويهيئ له أسبابه وأُهبَته، آخذًا حِذْرَه، مُقدِّرًا جميع الاحتمالات، واضعًا ما أمكنه من الاحتياطات، مع أنه كان أقوى المتوكلين على الله تعالى.

فهو حين أمر أصحابه. بعد أن اشتد إيذاء قريش لهم. بالهجرة إلى الحبشة، لم يكن هذا الأمر اعتباطًا، أو رمية من غير رامٍ، بل كان نتيجة معرفة بالظروف الجغرافية، والدينية والسياسية للحبشة في ذلك الوقت.

وهذا يدلنا على أن الرسول وأصحابه لم يكونوا في عزلة عن العالم من حولهم، رغم صعوبة المواصلات بين الأقطار بعضها وبعض.

ويدل على ذلك أيضًا : موقفهم من حرب الفرس والروم، وما كان من جدل بين المسلمين والمشركين في هذا (١٤) ، مما نزلت فيه أوائل سورة الروم (غُلبتْ الرومُ ❖ في أدنَى الأرضِ وهم من بعد غلبهم سيَغلبون❖ في بضعِ سنينَ للهِ الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ ويومئذٍ يفرحُ المؤمنون❖ بنصرِ اللهِ ينصر مَن يشاءُ وهو العزيز الرحيم❖ وعْدَ اللهِ لا يُخلفُ اللهُ وعدَهُ ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يعلمون❖ يعلمون ظاهرًا من الحياةِ الدنيا وهم عن الآخرةِ هم غافلون❖ أَوَلَم يتفكروا في أنفسِهم ما خلقَ اللهُ السماواتِ والأرضَ وما بينهما إلا بالحقِّ وأجلٍ مُسمًّى وإنَّ كثيرًا من الناسِ بلقاءِ ربِّهم لكافرون❖)(الروم:٢ - ٨).

وهكذا.. فقد كانوا. وهم في فجر الدعوة، ورغم الضعف والاضطهاد. على صلة بالصراع العالمي بين الدولتين العظميين في ذلك العصر، أو المعسكرين الكبيرين: الشرقي والغربي، ولمن سيكون المستقبل منهما؟ وهل سيبقى الوضع على ما هو عليه أو سيتغير؟ ولصالح أي الفريقين؟

خطة الهجرة إلى المدينة : وأوضح من ذلك موقفه . صلى الله عليه وسلم . في هجرته إلى المدينة، ففيها يتجلَّى التخطيط العلمي، والتوكل الإيماني جنبًا إلى جنب.

فلقد أعد. عليه الصلاة والسلام. من جانبه كل ما يستطيع البشر إعداده من الوسائل والاحتياطات والمعينات.

ولقد اطمأن إلى المهجر الذي سينتقل إليه، بعد أن بايع المؤمنين من الأوس والخزرج بيعة العقبة الأولى والثانية، واشترط لنفسه أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وذراريهم.

واطمأن إلى الرفيق الذي سيصحبه في رحلته الجاهدة بما فيها من أخطار، وما تَحْمِله من مفاجآت، ولم يكن هناك أفضل من أبي بكر رفيقاً.

واطمأن إلى الفدائي الذي سيبيت مكانه، معرِّضًا نفسه لاحتمالات الخطر، وغدرات المتربصين، ولم يكن هناك أفضل من علي ابن عمه أبي طالب فارس الإسلام لهذه المهمة.

ورتب الدليل الذي يدله على الطريق، وما فيه من منعطفات ومخابئ يمكن أن تضلل عنه أعين الطالبين، فكان مشركًا أمينًا، هو عبد الله ابن أريقط، وهو ما أخذ منها الفقهاء جواز الاستعانة بالخبرة الفنية غير الإسلامية، مع الاطمئنان والأمان.

وهيأ الرواحل التي سيمتطيها هو وصاحبه ودليله في سفرهم الطويل، واتفقوا على المكان الموعود الذي يستقلون به الركائب.

وتخيَّر المخبأ الذي يختفي فيه أيامًا معدودة، حتى تخف حدَّة الطلب، ويتملك القوم اليأس، واختاره في غير طريق المدينة، زيادة في التعمية على القوم، فكان غار "ثور". وأعد فريق الخدمة الذي يأتي بالزاد، والأنباء خلال أيام الاختفاء، فكانت أسماء وعبد الله بن أبي بكر، ومن بعدهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر يأتي بغنمه فيحلبون منها ويعفي على آثار أسماء وعبد الله.(١٥)

خطة مُحكَمة الحلقات، متقَنة التدبير، ولم تُترك فجوة دون أن تُملأ، ولا ثغرة دون أن تُسَد، ووضع فيها كل جندي في دوره المناسب لظروفه وقدراته، فدور أبي بكر، غير دور علي، غير دور أسماء، وكلٌّ في موقعه الصحيح.

ومع هذا الإحكام الدقيق، كادت الخطة تخفق، واستطاع المشركون أن يصلوا إلى الغار، ويقفوا على بابه، وكان يكفي لكشف الأمر وإفساد الخطة، أن ينظر أحد القوم تحت قدميه، ليرى الرسول وصاحبه في الغار، وهذا ما خشيه أبو بكر وصرَّح به للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين قال: لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، فقال له كلمته المؤمنة الواثقة: "ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما" ؟ (لا تحزنْ إنَّ اللهَ معنا) [التوبة: ٤٠] .

وهنا تجلى دور "التوكل" الحق، فبعد أن يبذل الإنسان ما في وسعه، ويتخذ من الأسباب والخطط ما يقدر عليه، يدع ما لا يقدر عليه من مفاجآت القدر، لله وحده، وهنا تقع "إن الله معنا" موقعها وتؤتي أُكُلَها. (١٦)

المبحث الثالث

مكانة التخطيط ونماذج منه في القرآن الكريم

العمل الارتجالي لا يؤتي أكله كما لو كان مُعَداً إعداداً جيداً ومدروساً دراسة وافية ، ومعروفة أبعاده وجدواه ، ومراحله وكل عمل أو فكرة تخطر على البال لا بدَّ أن تخطط له تخطيطاً ، جيداً تراعي فيه الهدف منه وبدايته وإتمامه وإيجابياته وسلبيّاته ، وإلا كان عملاً عشوائياً قد ينجح وقد يفشل ، واحتمالات فشله أكبر . وإن نَجَحَ فنجاحُه مرحليٌّ أو غير مكتمل .

والقرآن الكريم يضع بين أيدينا نماذج من التخطيط ، الذي يؤدي إلى الوصول إلى الهدف المنشود منها:

النموذج الأول : ما فعله إخوة يوسف حين شعروا أن أباهم يحب يوسف أكثر منهم ، ويفضله عليهم ، فماذا يفعلون ؟ تدارسوا الأمر فيما بينهم فقال بعضهم : (اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ) [يوسف: ٩] .

تفكير شيطاني سهَّلَ لهم القتل ، وبعد ذلك يعودون أتقياء أنقياء وكأن القتل لا يترك في القلب نكتة سوداء تؤرق صاحبها إلى أن يموت (قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) [يوسف: ١٠] .

وقلبوا وجوه الأمر فرأوا أن إلقاءه في الجب أسلم لهم ، ولن يؤرقهم كما لو أنهم قتلوه . . ثم جاءوا أباهم يقنعونه أن يسمح لهم باصطحاب يوسف معهم ، في رحلة برية يتريضون ويصطادون ، وأكدوا لهم حرصهم على أخيهم ، فلما أظهر الأب تخوفه أن يتركوه وهو صغير فيعدو عليه . في غفلة منهم . الذئبُ فيأكله أقسموا أنهم لا يتركونه وإلا فهم خاسرون . وكأنه لقّنهم حجة هم بحاجة إليها يتعللون بها عند أبيهم (١٧).

وهكذا كان (قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ❖ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ❖ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ❖ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ❖) [يوسف: ١١ -١٤] .

وحبكوا قصّتهم ورتبوا مكرهم ونفذوا خطتهم ، (وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ❖ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ)[يوسف:١٦ -١٧].

تسلسل مراحل الخطة :

١. جاءوا أباهم عشاءً فلا يرى الغدر في عيونهم .
٢. بدأوا يبكون فشعر بالخطب الجسيم قبل أن يلقوه على سمعه .
٣. هيّأه بكاؤهم على تقبّل المصيبة التي سيسمعها منهم .
٤. تلطّفوا له بالقول : " يا أبانا " ولهذا فائدتان :

الفائدة الأولى : هي كلمة استعطاف ليرقّ قلبه لهم فلا يعاقبهم .

الفائدة الثانية : إيهامه صدقهم في حرصهم على أخيهم .

٥. لقّنوه الحجة التي سمعوها منه في اعتذاره عن إرسال يوسف معهم " أكله الذئب " .
٦. أنت لا تصدقنا مع أننا صادقون .

لكنَّ هذا التخطيط المحكم نقض بخطأ كبير وقعوا فيه دون أن يشعروا حين (وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) [يوسف: ١٨] .

كان القميص ملوّثاً بدم لكنّه غير ممزّق ، فالذئب الذي أكله كان ذكياً!! لقد جعله يخلع قميصه قبل أن يأكله حتى يستفيد منه إخوته!! لذلك لم يكن التخطيط كاملاً ، فهذه الثغرة فضحتهم ، وعرف الأب ذلك فقال : هذا مكر دفعكم إليه نفوسكم الخبيثة (١٨).

النموذج الثاني ::وهذه امرأة العزيز تراود يوسف حين بلغ مبلغ الرجال وكان جميلاً ، وسيماً ، تتفجر الدماء من عروقه ويطفح وجهه إشراقاً فيأبى ذلك ويقول : (مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) [يوسف:٢٣] فزوجُها أكرمَ يوسفَ ، وتعهده بالرعاية . فكيف يسيء إليه في زوجته ؟! لا يفعل ذلك إلا الخائنون الذين يجازون الإحسان بالسوء ، ويوسف ليس منهم . وانتشر الخبر بين نساء المدينة .

تسلسل مراحل الخطة :

١. امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه .
٢. امتنع عليها وأذلَّ كبرياءها .

والأمران وصمة عار عليها فأرادت أن تلجم أفواههن فماذا فعلتْ :

١ -دعتهن إلى قصرها .
٢ -أكرمتهن بالطعام والفاكهة
٣ -أمرت يوسف أن يخرج عليهن فخرج .
٤ -رأينه فائق الجمال ملكاً يمشي على الأرض ، فدهشن لهذا الجمال الأخاذ .
٥ -لم يشعرن إلا والدماء تسيل من أصابعهن فقد أخذ الإعجاب بجماله والدهشة له منهن كل مأخذ ، فجرحن أيديهن .
٦ -شعرت بالانتصار عليهن ، فعاتبتهن على ما قلن في حقها من تجريح .
٧ -حين رأت نفسها منتصرةً عليهن باحت بمكنون قلبها نحوه ، وأصرت على تعلقها به والرغبة في وصاله ، ولو أدى ذلك إلى سجنه إن أبى .

وهذه خطة جهنميّة لا يفعلها إلا صاحب الكيد الذكي (١٩) (فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ❖ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ) [يوسف:٣١ -٣٢].

النموذج الثالث : لنتأمل كيف خطط عليه الصلاة والسلام للخروج من السجن بل كيف خطط الله تعالى له :

١. (وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ) .
٢. (فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ)
٣. (قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ)
٤. (قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ)
٥. (قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ❖ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ❖ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ❖)
٦. (وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي)

٧. (فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ❖)
٨. (قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ❖) [يوسف: ٥٠ -٥٥] .

وهكذا كان تخطيط الله تعالى له حيث أخرجه من السجن إلى الصدارة ومن كونه مرؤوساً إلى صيرورته رئيساً .

النموذج الرابع : كيف خطط يوسف عليه السلام لاستعجال أخيه بنيامين إلى مصر ؟

١. (وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ❖)
٢. (وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ❖)
٣. (فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ❖)
٤. (قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ❖)
٥. (و قَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ❖)
٦. (فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ❖) [يوسف: ٥٨ -٦٣] .
٧. (وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ) [يوسف:٦٥] .

في رحاب الآية : أراد أن يرى أخاه الشقيق ، فأظهر تعجبه من كثرتهم وهم عشرة رجال ، فقالوا هناك عند أبيهم رجل آخر . فقال عند ذلك جيئوا به لأراه ، فإن لم يجيء فلا كيل لكم عندي .

ولن يعودوا سريعاً ، إنما سيعودون حين ينفذ القمح ، لذلك جعل ثمن البضاعة فيها لعلمه أنهم حين يفتحون متاعهم ، سيجدون ثمنه ، وسيضطرون إلى العودة لدفع الثمن ، وفي الوقت نفسه يأخذون ميرة جديدة ، لكنه لن يعطيهم إذا لم يكن أخوه معهم . إذاً سيضغطون على أبيهم ليسمح باصطحابهم بنيامين وهكذا كان ، بعد أن استوثق منهم على الحفاظ عليه .

النموذج الخامس : كيف خطط ليحتفظ بأخيه دون أن ينتبهوا إلى ذلك (٢٠) :

١. (وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ❖)
٢. (فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ)
٣. (ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ❖)
٤. (قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ❖ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ❖ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ❖)
٥. (قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ❖ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ❖)

٦. (فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ)

٧. (ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرفَعُ دَرجاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيْمٌ❖) [يوسف:٦٩ -٧٦] .

في شرع الملك كان السارق يضرب ، ويعنّف ، ويدفع ضعف ثمن ما سرقه . أما في شرع يعقوب وأبنائه فإن السارق يصبح عبداً لمن سرقه ، فعاملهم بشريعتهم لا شريعة الملك (٢١).

النموذج السادس : أما قصة سيدنا موسى في سورة طه ، وتيسير الله وحفظه له في قصر فرعون فنراها في الآيات [طه: ٣٧ . ٤٠] . (٢٢)

تسلسل مراحل الخطة :

١. أوحى الله إلى أمّه أن تضعه في صندوق خشبي بعد إرضاعه .
٢. أمرها بإرضاعه كي يحبه موسى ، فلا يتقبّل موسى ما يُقدَّم له من حليب المرضعات غير حليب أمه الذي استساغه ولن يرضى بغيره .
٣. دفعته الأمواج بإذن الله إلى قصر فرعون ، عدو الله ، وعدو موسى .
٤. كتب الله له القبول عند آل فرعون ، ليبقى عندهم .
٥. متابعةُ أخته له حتى تعرف إلى أين سينتهي .
٦. أختُه تدلُّ الباحثين على أمه لترضعه .
٧. عودة موسى إلى أمّه بعون الله ومساعدته .

إنه تخطيط رب العالمين ، يحفزنا على ترتيب ما نريده بخطة سليمة ، وتفكير سديد .

النموذج السابع : ونلحظ التخطيط في كسر إبراهيم أصنام قومه فكان تسلسل مراحل الخطة كما يلي: أراد قومه الخروج من المدينة في عيد لهم فأعتذر بأنه مريض فتركوه ، وخرجوا ، فاغتنم فرصة خلوّ المكان فانطلق إلى الأصنام فحطمها (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ❖ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ❖ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ❖ فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ❖ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ❖ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ) [الصافات:٨٨ -٩٣] .

أراد الله سبحانه وتعالى أن يعبده الناس متجهين إلى قبلة محددة ، فبيّن لإبراهيم مكان بناء البيت كي يقصده الناس حاجين وأمره بعد انتهاء البناء أن يؤذّن فإذا أذّن أسمع الله نداءه إلى المخلوقات جميعاً .

(وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ) (أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا)(وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ❖) (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ) [الحج: ٢٦ -٢٧].

فالله سبحانه خطط منذ القدم أن يكون البيت الحرام في مكة قبلة لعباده ، يحجون إليه ويطوفون حوله ويعبدون ربّه .

وقام إبراهيم وابنه إسماعيل ببناء البيت وتجهيزه لحجاج بيت الله الحرام ، ثم أذّن فسمعت النُّطَفُ أذانه فرددت ما قال (٢٣).

النموذج الثامن : وفي سورة النمل الآيات [٢٧ . ٤٤] :

تسلسل مراحل الخطة :

١. عاد الهدهد إلى سليمان يحمل خبر مملكة اليمن التي يسجد أهلها للشمس ويعبدونها .
٢. حَمَّلَ سليمانُ عليه السلام الهدهد كتاباً فيه دعوة إلى الإيمان بالله ، يلقيه بين يدي بلقيس ملكة سبأ ، ثم يبتعد فيراقب ردة الفعل .
٣. أرسلت بلقيس هدية إلى سليمان علّه يتركها وبلادها .
٤. لما أبى سليمان إلا إسلامها وقومها انطلقت إلى عاصمة ملكه زائرة .
٥. أراد اختبار ذكائها فأمر بحمل عرشها إلى فلسطين .
٦. حمله أحد العارفين بالله في لمحة البصر بإذن الله .
٧. نكّر عرشها وعرضه عليها فلم تخطئه .
٨. بنى قصراً من الزجاج الصافي ، فلما أرادت دخوله كشفت عن ساقيها ظانّة أنه ماء لشدة صفائه .
٩. رأت عظمة ما لسليمان من ملك ونبوّةٍ فآمنت بدينه .

والملوك لتعاظمهم لا يسلّمون لأمر إلا إذا كان عظيماً ، فخطط سليمان لذلك بجلب عرشها وبناء القصر العظيم ليخلب لبَّها ابتداءً فتسلم له ، وكان تخطيطه موفقاً (٢٤) .

وقبل ذلك نجد النملة تتخذ الأسباب ، ويساعدها على ذلك سليمان عليه السلام ، فنرى سليمان ينطلق وجنوده من الجن والإنس والطير ، فيصلون إلى وادي النمل ، وكان النمل خارجاً من أعشاشه يبحث عن رزقه ، فإذا ظلَّ منتشراً في الوادي فستطؤه أرجل الجنود ، وحوافير الخيل ، وقوائم السباع ، والجيش كبير العدد ، ولن تسلم نملة منهم ، فقالت نملة لبيبة رأت من بعيد جيش سليمان يهز الأرض تحته صارخة في قومها منبهة السامعين منهم ليحذروا (يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) [النمل:١٨] .

فيسمع سليمان عليه السلام صوتها وتحذيرها ، فيوقف تقدم الجيش ، ويسألُ ربه أن يرزقه شكره على نعمه التي وهبه إياها ولوالديه ، ويسأله العمل الصالح الذي يرضيه ، وأن يرزقه جنته ورضوانه ، ودخلت النملة مسكنها وتبعها النمل فخلا الجوُّ منهم وفرغت الأرض ، فانطلق الملك سليمان عليه السلام إلى هدفه شاكراً حامداً .

النموذج التاسع : يخاطب الله سبحانه وتعالى المؤمنين أن يتخذوا الأسباب الماديّة والمعنوية في لقاء العدو .

أما المثال على اتخاذ الأسباب المعنوية فقوله سبحانه :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً) (فَاثْبُتُوا)(وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ❖)(وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) (وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ❖) [الأنفال:٤٥ -٤٦] .

ثم نهاهم أن يكونوا بطرين أشرين يراؤون الناس ولا يخلصون لله سبحانه (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) [الأنفال:٤٧] .

النموذج العاشر : فالثباتُ ، وذكرُ اللهِ ، وطاعتُه وطاعة رسوله ، والوحدةُ الإيمانية ، والصبرُ ، والبعد عن الرياء ، والإخلاصُ لله سبحانه أسباب معنوية ، إن اتخذها المسلمون نصرهم الله تعالى ، ولا أرانا في هذه الأيام الرديئة نتصف بواحدة منها ... لذلك ترانا كالقصعة التي يتداعى الأَكَلَةُ الشرهون إلى التهامها .

والمثال على اتخاذ الأسباب المادية قوله سبحانه : (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) [الأنفال:٦٠] .

فالإعداد الماديّ يستدعي : (٢٥)

١. التربية البدنيّة واللياقة العالية .
٢. التدريب على السلاح بكل أنواعه .
٣. تأمين السلاح الثقيل ، والتدرب عليه .
٤. إرهاب العدو بإظهار القوة قدر الإمكان .
٥. القوة ترهب من يمدُّ العدوُّ ويساعده .
٦. إنفاق المال في سبيل الله والعقيدة .

النموذج الحادي عشر : هذا سيدنا موسى عليه السلام يرى . وهو عائد إلى أهله في مصر وزوجته معه . ناراً والدنيا باردة ، والمكان مظلم ، ولا بدَّ للدفء والأمان ، ورؤية من يقصدونه من الحصول على النار ، وها هو يراها من بعيد فيترك أهله قريباً من المكان ، ويسرع إلى الضوء ليقبس قبسة تفيده فيما يرمي إليه من أحد يدله على الطريق ، فقد ضلّ عنه وقد هبت ريح شديدة فرّقت ماشيته ، فهو يسعى لنار تريه إياها كما أن زوجته أخذها الطلق ، وهذا أخذ بالأسباب الموصلة إلى الراحة ، والأمان ، والدفء ...

وهناك يكلمه الله سبحانه وتعالى ويعرفه بحقيقته ، ويأمره أن يذهب إلى فرعون يدعوه إلى الله سبحانه(فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) [القصص:٢٩]. ويعطيه الله سبحانه من الأسباب المساعدة على إبلاغ الدعوة سلاحين : (٢٦)

١. العصا التي تنقلب ثعباناً يثير الرعب والهلع في نفوس الحاضرين .
٢. التوهج الشديد ليده حين يدخلها في جيب قميصه .

كما يؤيده بأخيه هارون فهو فصيح اللسان واضح الكلام .

وينفي عنه الخوف من فرعون أن يقتصَّ منه لأنه قتل قبطياً . .

(وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ)(يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ❖)
(اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ)(وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ)
(فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ❖) (قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ❖ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ) (قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا)(بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ❖) [القصص:٣١ -٣٥] .

النموذج الثاني عشر : لنتأمل أمر الله تعالى لموسى في النجاة من فرعون ، ثم إغراق فرعون (وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ❖ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ❖) [طه:٧٧ -٧٨] .

(فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ❖ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ❖) (كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ❖)
(فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ❖)(فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ❖) (قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ❖)
(فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ❖ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ❖)
(وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ❖)(ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ❖) [الشعراء:٥٧ -٦٦] .
(فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ❖ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ❖)
[الدخان:٢٣ -٢٤] .

تجد موسى عليه السلام اتخذ الأسباب التالية : (٢٧)

١. استنجد بربه حين دعاه أن ينقذه وقومه من فرعون وجنده .
٢. أمره الله أن ينطلق بقوة اتجاه المشرق ، فسار بهم ليلاً كي يقطع مسافة طويلة قبل أن يشعر بهم فرعون .
٣. وحين وصلوا إلى شاطئ البحر كان فرعون مسرعاً بجيشه يقترب منهم . فقد رأى كل من الطرفين الطرف الآخر ، فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر ففعل ، فانفلق البحر ، وانشق طريقٌ يابسٌ بين جبلين من الماء .
٤. أسرع موسى بقومه إلى الطرف الآخر وهم مشفقون خائفون .
٥. وصل موسى وقومه إلى الشاطئ الآخر ، وهمَّ أن يضرب الماء ليعود البحر كما كان حتى لا يستطيع فرعون العبور إليهم .
٦. أمره الله سبحانه أن يترك البحر كما هو ليدخل فرعون الطريق وجنوده ، فلما صار الجيش كلّه في الطريق أمر الله تعالى الماء ، فعاد كما كان فأغرق الكافرين .

فالاستنجاد بالله ، والدعاء له ، والمسير في الليل ، وضرب الماء ، ثم الهمّ بضربه مرة أخرى ليعود كما كان . . اتخاذ للأسباب .

لكنَّ التخطيط واتخاذ الأسباب لا يوصلان إلى الهدف إلا إذا أراد الله سبحانه وتعالى ذلك ، فعلينا التفكير وعلى الله التدبير ، وهذا هو التوكل على الله .

النموذج الثالث عشر : نجاح التخطيط للمستقبل خاضع لمشيئة الله عز وجل. حيث يقول الله تعالى في كتابه العزيز: (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا*) [الكهف:٢٣ -٢٤]

ويقول تعالى :(وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) [القصص:٧٧] ، في هذا ضرورة أن يأخذ المسلم بالأسباب في حياته وأن يتزود بالتقوى من دنياه لآخرته .

النموذج الرابع عشر : سرية الدعوة في مراحلها الأولى ثم الجهر بها ، بدأت الدعوة للإسلام سرية لثلاث سنوات يدعو فيها الرسول أهله وأصحابه للدين والحكمة من سرية الدعوة :

١ ـــ التريث ريثما تتكون لبنات قوية المزج ، شديدة التماسك في جو بعيد عن إثارة المعوقات في طريق سير الدعوة ؛

لأن هذه اللبنات هي القوة الدافعة التي سيعتمد عليها بناء المجتمع الإيماني الجديد في مواجهة قوى الظلم والبغي المتربصة بهذا الدين في صبر لا يعرف الوهن ، وجهاد لا يعرف اليأس

٢ ـــ نهج المسالمة المؤقتة في البداية ؛ لأن مهاجمة هذا المجتمع الغارق في شروره ومواجهته بضلاله وساق الدعوة لم يستو بعد ، يؤذن بتحريك دوافع المقاومة للدعوة في نفوس المستكبرين ، والدعوة لا تزال في أول خطواتها ، فتتعثر في سيرها ، وهي لا تزال وليدة طرية .

لذلك آثر النبي صلى الله عليه وسلم الاستمرار بدعوته وتبليغ رسالته ، حرصاً منه أن يكون سيرها مطرداً وئيداً هادئاً ، تسير إلى القلوب بخطى ثابتة ، حتى تتمكن من الإعلان عن نفسها في الوقت المناسب ، بعد أن يؤمن بها عدد من الناس يضحون في سبيلها بالغالي والنفيس ، مما يضمن استمرارها وبقاءها .

٣ . إتاحة الفرصة للدعوة حتى تصل إلى مسامع العرب في مواسمهم ومحافلهم وأسواقهم ومضارب منازلهم ، فأتت هذه الخطوة أكلها ، حيث أقبل إلى مكة فريق منهم ، يتحسس أخبارها ، ويتعرف مكانها في خفية وحذر ، حتى إذا بلغوا مأمنها في مقرها (دار الأرقم) أسلموا لله تعالى ، واتبعوا رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإهتدوا بهديه ، وآمنوا بما جاء به من الحق .

٤ -خشية النبي صلى الله عليه وسلم من أن يُقضى على أصحابه أو يُضطهدوا في فترة مبكرة وقبل أن تتكون لهم قوة أو ينتشر لهم ذكر ويعلم عدد لا بأس به من الناس بمبادئ دعوته ، فلو أنه أعلن الدعوة مباشرة ، فسيكون أول من يتبعه قلة مع الاضطهاد ، ولن يتعرف أحد على مبادئ الدعوة لأنه لا يعرفها إلاّ صاحبها ،وإنما كانت تربية أصحابه أولاً أهم من الإعلان والجهر بالدعوة .

٥ -الأهم من هذا كله ، أن النبي لا ينطق عن الهوى ، فهو مرسل مخاطب بالوحي ، لم يأته الأمر بالجهر بالدعوة ، لذا عليه أن يخضع لأمر الله تعالى ويلتزم بما خططه الله تعالى له من أمر الدعوة وسريتها حتى يأتيه الأمر بالجهر(٢٨)

حيث يقول الله تعالى :(يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ *قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ❖) [المدثر:١ -٥]

ثم كانت الدعوة الجهرية مرحلة جديدة من مراحل بدايات الدعوة الإسلامية، وفي بداية هذه المرحلة أعلن رسول الله دعوته بينما ظل بقية المسلمين على سرّيتهم ما استطاعوا، وكان هذا تدرجًا واضحًا في طريق الدعوة.

وكما أُمر الرسول بالبلاغ، فقد أُمر أن يبدأ بأقربائه بالتحديد ودون بقية الناس، وكان هذا أيضًا نوعًا من التدرج في إيصال الدعوة للعالمين (٢٩) ، حيث كان قد نزل قوله تعالى: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) [الشعراء: ٢١٤] ويقول الله تعالى:(فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) [الحجر:٩٤]

النموذج الخامس عشر : خطة الصلاة في وقت الخوف ، فقد بين الله عز وجل في القرآن الكريم لرسوله مراحل وترتيبات أداء الصلاة في وقت المعركة أو الخوف حيث يقول تعالى : (وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ

كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ❖) [النساء: ١٠٢]

النموذج السادس عشر : تحريم الخمر الذي لم يستقر تحريمه إلا بعد فترة طويلة من عمر البعثة النبوية ولقد مرّ تحريم الخمر في الشريعة الإسلامية عبر ثلاث مراحل : (٣٠)

المرحلة الأولى :بين الله تعالى أنّ للخمر مساوئ وأضراراً أكثر من المنافع فيها دون أن يحرم شرب الخمر فيقول عزّ وجلّ: (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) [البقرة : ٢١٩]

المرحلة الثانية :تحريم شرب الخمر عند أوقات الصلاة فيقول عزّ وجلّ :(يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) [النساء: ٤٣]

المرحلة الثالثة : التحريم المطلق إلى قيام الساعة وفي كل الأوقات وفي كل الظروف فيقول عزّ وجلّ: (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ❖ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ❖) [المائدة ٩٠ – ٩١]

يقول الإمام القرطبي في كتابه الجامع لأحكام القرآن الكريم مفسراً لهذه الآية: "تحريم الخمر كان بتدريج ونوازل كثيرة؛ فإنهم كانوا مولعين بشربها،وأول ما نزل في شأنها (يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ)[البقرة: ٢١٩] أي في تجارتهم؛ فلما نزلت هذه الآية تركها بعض الناس وقالوا: لا حاجة لنا فيما فيه إثم كبير، ولم يتركها بعض الناس وقالوا: نأخذ منفعتها ونترك إثمها فنزلت هذه الآية (لاَ تَقْرَبُواْ ٱلصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ) [النساء: ٤٣] ،فتركها بعض الناس وقالوا: لا حاجة لنا فيما يشغلنا عن الصلاة، وشربها بعض الناس في غير أوقات الصلاة حتى نزلت:(يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلأَنصَابُ وَٱلأَزْلاَمُ رِجْسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون)[المائدة :٩٠] فصارت حراماً عليهم حتى صار يقول بعضهم: ما حرم الله شيئاً أشدّ من الخمر."انتهى. (٣١)

النموذج السابع عشر: وأمّا الربا فمع شدة تحرميه إلا أنّ الله عزّ وجلّ قد حرمه على مراحل كما هو آت:

في مكة أنزل الله عز وجل بشأن الربا:(وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربو عند الله) [الروم:٣٩]،وذكر بعد ذلك عقابه لليهود بسبب أكلهم الربا وقد نهوا عنه: (وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) [النساء:١٦١]،ونهى الله تعالى عن الربا الفاحش الذي يتزايد حتى يصير أضعافًا مضاعفة بقول المولى عز وجل:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [آل عمران:١٣٠]، ثم جاء التحريم النهائي والحاسم بقوله تعالى:(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين) [البقرة:٢٧٨].

وفي القرآن الكريم نماذج كثيرة من هذه الأنواع التي تظهر فيها مراعاة النفس الإنسانية وأحوالها العارضة والطارئة والاستثنائية،رفعًا للحرج،ونزولاً عند الضرورة،وكل ذلك يدور مع ما قصد إليه الشرع من مقاصده العليا. (٣٢)

الاستنتاجات :

١ – اشتمل القرآن الكريم على أصول التخطيط الراسخة وأساليبه وأدواته وأنواعه وهو بذلك قد سبق الفكر الإداري الحديث.

٢ – أعطى القرآن الكريم نماذجا كثيرة للتخطيط وأنواعه المختلفة ، فعلى سبيل المثال من حيث المجالات أشار إلى التخطيط الإداري ولاقتصادي والدعوي والاجتماعي والحربي والسياسي والمالي والعمراني ، ومن حيث المدة الزمنية أشار إلى التخطيط طويل الأجل (المسمى حاليا بالاستراتيجي) والتخطيط قصير الأجل (المسمى حاليا بالمرحلي أو التكتيكي) .

٣ – يحظى التخطيط بأهمية بالغة في القرآن الكريم والسنة النبوية حيث الأسس الراسخة القائمة على العلم والمعرفة وليس على التخمين والظن .

٤ – ضرورة توخي الدقة والإعداد الجيد .

٥ – يرتكز مفهوم التخطيط في القرآن الكريم والسنة النبوية على استخلاص العبر من الأعمال السابقة وتجنب الوقوع في أخطاء الماضي .

٦ – أن مفهوم التخطيط يقوم على أساس التفكير السليم والتأني وعدم التسرع وتوخي الحذر عند القيام بعمل ما.

٧ – ربط القرآن الكريم نجاح التخطيط بمشيئة الله عز وجل .

٨ – اقتران التخطيط في الفكر الإسلامي بالتوكل على الله ثم الأخذ بالأسباب .

٩ – ولقد جاء الحث عليه أمراً صريحاً في القرآن ، قال تعالى: "وأعدوا لهم ما استطعتم....."

١٠ –حدوث التخطيط يجري بشكل تدريجي وعلى مراحل .

١١ –التخطيط في القرآن الكريم والسنة النبوية ذو أهداف مشروعة تتفق مع الدين الحنيف .

التوصيات :

١. أي عمل إذا ما أريد له أن يعطي النتائج المرجوة منه يجب التخطيط المسبق له بما في ذلك دراسة العواقب التي يمكن أن تتمخض عنه .

٢. التخطيط العلمي يجب أن يستند إلى المعلومات الصحيحة والدقيقة .

٣. الابتعاد عن العشوائية والارتجالية في العمل .

٤. الدراسة العميقة والمتأنية للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة لاستنباط أصول التخطيط الراسخة في جميع المجالات : الإداري والاقتصادي والدعوي والاجتماعي والحربي والسياسي ... إلخ .

٥. تحفيز أهل الاختصاص من قبل الجهات الرسمية في المجتمعات الإسلامية لإجراء الدراسات في هذا المجال لتحقيق أسباب الرقي والنهضة والسيادة .

٦. تطبيق أصول التخطيط الواردة في مصادر الفكر الإسلامي لبلوغ أعلى درجات الإتقان وأفضل النتائج .

٧. أن يكون التخطيط في جميع مراحله لتحقيق أهداف مشروعة تتفق مع مقاصد الشريعة وهي الضرورات الخمسة : حفظ الدين ، وحفظ النفس ، وحفظ العقل ، وحفظ النسل ، وحفظ المال .

٨. العمل على نشر الوعي عن التخطيط كما ورد في مصادر الفكر الإسلامي لتوظيفه في قيام أية دولة إسلامية معاصرة .

٩. السعي الجاد لإعادة بناء ثقة المسلمين في أنفسهم وفي إرثهم الحضاري من خلال تأصيل سمو الفكر الإداري الإسلامي على ما يسمى بالفكر الإداري المعاصر .

١٠. ربط التخطيط دائما بالتوكل على الله حيث التوفيق هو من عند الله .

خاتمة :

كما يلاحظ فان التخطيط يحظى بمكانة وأهمية بالغتين في القرآن الكريم كما دلت الآيات المذكورة في هذه الدراسة ، وتجدر الإشارة إلى أن القرآن الكريم غني بالآيات ذات الدلالات التخطيطية وأن ما تم ذكره من آيات كريمة هنا ما هو إلا قليل من كثير وأن القرآن الكريم قد سبق الفكر الإداري الحديث بقرون كثيرة في إرساء الأصول الراسخة للتخطيط الناجح والمثمر .

وقد حفلت السنة النبوية المطهرة بأمثلة كثيرة على التخطيط وتطبيقاته في مختلف مناحي الحياة ، وأكدت على أهميته كعنصر أساسي في حياة المسلمين .

كما يلاحظ فان الأمة الإسلامية تمر في وضع لا تحسد عليه ، وقد آن الأوان أن تنهض من كبوتها وتأخذ بأسباب رفعتها ورقيها وتستعيد أمجادها لتتبوأ مكانتها العالية والمرموقة وذلك من خلال العودة الحميدة إلى دينها الذي يقربها من الله العلي القدير الذي بيده مقاليد السموات والأرض وكل شيء . والأمة مدعوة لتطبيق المفاهيم والأصول الإدارية الراسخة التي يزخر بها دينها .

والتخطيط في الفكر الإداري الإسلامي وسيلة وليس غاية ، لتحقيق أهداف محددة لا تتناقض مع الدين الحنيف الذي ارتضاه الله لنا .

الهوامش :

١ – ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت لبنان ، ١٩٦٨م، المجلد السابع، ص ٢٨٧، ١٨٠ ، ١٨١

٢ – الرازي ، محمد بن عبد القادر ، مختار الصحاح ، دار الكتاب العربي ، بيروت، لبنان ، بدون تاريخ للنشر، ص ١٨٠ – ١٨١

٣ – توفيق، د. جميل (إدارة الأعمال – مدخل وظيفي) ١٩٨٦، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت . ص ١٤٢ – ١٤٣

٤ -البخاري ،محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري http://www.nabulsi.com/blue/ar/art.

٥ -الغرياني،طلال بن سراج(التخطيط والمتابعة بين النظرية والممارسة)،العبيكان،١٤١٢هـ ص١٧

٦ -الغرياني ، مرجع سابق

٧ -مجدلاوي ، د. فاروق (الإدارة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب) ١٤١١ هـ ، روائع مجدلاوي ،عمان ، الأردن .

٨ -القرضاوي ، د. يوسف (التخطيط للمستقبل والإيمان بالغيب) ، ٢٠٠٤/٨/١

http://www.onislam.net/arabic/ask-the-scholar/8275/8245/52716-2004-08-01%2017-37-04.html

٩ - القرضاوي ، د. يوسف (التخطيط للمستقبل والإيمان بالغيب) ، ٢٠٠٤/٨/١ ، الصفحة الالكترونية السابقة .

١٠ - القرضاوي ، د. يوسف (التخطيط للمستقبل والإيمان بالغيب) ، ٢٠٠٤/٨/١ ، الصفحة الالكترونية السابقة .

١١ - القرضاوي ، د. يوسف (التخطيط للمستقبل والإيمان بالغيب) ، ٢٠٠٤/٨/١ ، الصفحة الالكترونية السابقة .

١٢ - القرضاوي ، د. يوسف (التخطيط للمستقبل والإيمان بالغيب) ، ٢٠٠٤/٨/١ ، الصفحة الالكترونية السابقة .

١٣ - القرضاوي ، د. يوسف (التخطيط للمستقبل والإيمان بالغيب) ، ٢٠٠٤/٨/١ ، الصفحة الالكترونية السابقة .

١٤ - القرضاوي ، د. يوسف (التخطيط للمستقبل والإيمان بالغيب) ، ٢٠٠٤/٨/١، الصفحة الالكترونية السابقة .

١٥ - القرضاوي ، د. يوسف (التخطيط للمستقبل والإيمان بالغيب) ، ٢٠٠٤ /٨/١، الصفحة الالكترونية السابقة .

١٦ - القرضاوي ، د. يوسف (التخطيط للمستقبل والإيمان بالغيب) ، ٢٠٠٤ /٨/١، الصفحة الالكترونية السابقة .

١٧ - مكانسي، د.عثمان قدري (التخطيط واتخاذ الأسباب)

http://www.alhiwar.net/ShowNews.php?Tnd=1100

١٨ - المرجع السابق نفسه .

١٩ - المرجع السابق نفسه

٢٠ - المرجع السابق نفسه

٢١ - المرجع السابق نفسه

٢٢ - المرجع السابق نفسه

٢٣ - المرجع السابق نفسه

٢٤ - المرجع السابق نفسه

٢٥ - المرجع السابق نفسه

٢٦ - المرجع السابق نفسه

٢٧ - المرجع السابق نفسه

٢٨ - http://www.hurras.org/vb/showthread.php?t=34432

٢٩ - http://www.cksu.com/vb/showthread.php?t=366326

٣٠ - صغير، م.عبد الله بن علي : (أسس ومطالب صحوة الأمة الإسلامية عموما والأمة العربية خصوصا) ،

www.saaid.net/book/15/6857.doc

٣١ - المصدر السابق نفسه

٣٢ - المصدر السابق نفسه

المصادر والمراجع :

١. القرآن الكريم .
٢. السنة النبوية الشريفة .
٣. ابن منظور : (لسان العرب) ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت لبنان ، ١٩٦٨م، المجلد السابع، ص ٢٨٧، ١٨٠ ، ١٨١
٤. البخاري ،محمد بن إسماعيل(صحيح البخاري) http://www.nabulsi.com/blue/ar/art
٥. الرازي ، محمد بن عبد القادر (مختار الصحاح)، دار الكتاب العربي ، بيروت، لبنان ، بدون تاريخ للنشر.
٦. الغرياني،طلال بن سراج(التخطيط والمتابعة بين النظرية والممارسة)،العبيكان،١٤١٢هـ .

٧. القرضاوي، د. يوسف (التخطيط للمستقبل والإيمان بالغيب)،١/٨/٢٠٠٤،على موقع:
http://www.onislam.net
٨. النعيمي، د.صلاح الدين محمد قاسم: (سياسة التخطيط الاستراتيجي في ضوء سورة يوسف)، مجلة الجامعة العراقية ،العدد ١/٣١ ، ٢٠١٣ م ،العراق.
٩. توفيق، د. جميل (إدارة الأعمال – مدخل وظيفي) ١٩٨٦، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت .
١٠. شعيبي، د.فيصل بن أحمد بن عابد: (التخطيط الإداري الإسلامي في العهد النبوي المدني)، مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الاقتصاد والإدارة ، م١٠،ع١٤٢٢،١هـ /٢٠٠١السعودية.
١١. صغير، م.عبد الله بن علي : (أسس ومطالب صحوة الأمة الإسلامية عموما والأمة العربية خصوصا) ، www.saaid.net
١٢. عزب،أ.د. محمد علي:(الأخذ بالأسباب كقيمة إسلامية في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية)، مجلة كلية التربية بالزقازيق، العدد ٦٧، ابريل ٢٠١٠، مصر .
١٣. مجدلاوي ، د. فاروق (الإدارة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب) ١٤١١ هـ ، روائع مجدلاوي ،عمان ، الأردن .
١٤. مكانسي، د.عثمان قدري (التخطيط واتخاذ الأسباب)،على موقع:
http://www.alhiwar.net
١٥ - http://www.hurras.org/vb/showthread.php?t=34432
١٦ - http://www.cksu.com/vb/showthread.php?t=366326

جامعة الناصر

AL-NASSER UNIVERSITY